

أرجوحة الغريب

المؤلف: محمد بن سيف الرحبي

(كاتب من سلطنة عمان)

الطبعة الأولى: 2015 (مسقط)

الناشر:



بيت الغشام للنشر والترجمة

مؤسسة التكوين للخدمات التعليمية والتطوير

(سلطنة عُمان - مسقط)

للتواصل:

alghshamoman@gmail.com

هاتف: 99260386 - 24398889

ص.ب: 745 الرمز البريدي: 320

www.altakween.com

حقوق النشر محفوظة ولا يحق

إعادة الطباعة أو النسخ

إلا بإذن كتابي من المؤسسة

رقم الإيداع 473 / 2014

رقم الإيداع الدولي (ISBN)

978-99969-59-35-6

لوحة الغلاف:

أحمد بن سلام المنذري

التصميم الداخلي والغلاف :

أحلام بنت محمد الرحبي

أرجوحة الغريب

محمد بن سيف الرحبي

تحذير / تنبيه

هذا (الكلام) المطبوع هنا لا يفترض قراءته على أنه شعري..
هو بعض مما قاله قلب صحفي فكتبه في عموده الصحفي
المنعوت بـ (تشاؤل) في صحيفة الشبيبة مختاراً له يوم
الخميس ليستريح فؤاده إلى طلب ود القصيدة وهي عصية
عليه منذ ولد.. وحتى يموت.

1

يتشاقى الأزرق إلى عينيك
السماء التي تطل
في علو من امتلاء..
والبحر، الساكن في الحدقتين
ماء، وملح.. ودمع.

لا تتعب الزرقة من دفترك
بين بحر وسماء ترفرفين
عصفورة من حنين، وارتحال..

شجن قديم، يكتب حروفه
باللون الأزرق، كما تفضليته،
سيدة الألوان.

يجفل الأحمر.. من شفتيك.
يحط كوردة،
أو كرعشة..
أو كيقين غاضب.

يغتصب الألوان من دفترها
ويزركش مرورك،
بأهداب يكتبها القلب
بحروف دم، كأنها رحيق الورد.

تورّدك، يلهم الدنيا
أحمرّك، يشعلها عشقا.
يشعلني سيدة الورد.

يحط عصفور الفرح على أهدابك
يتعلم أبجدية التحليق
وأول حروف العشق.

متأنق ببياض، تحسده طيور الدنيا
يكتب الحروف على مهل
يرسم حرفين على اخضرار الغصن
وحينما يهم بالطيران
تقبض عليه أوراقك.

لا يخذل الامتدادات الجميلة
ينقش عليها قصائد ملونة
بأزرق كالبحر والسماء
بأحمر كرحيق شفيتين
قدّتا من عشق.

ينام الطائر على كفك
حالما بكل سماوات الدنيا
يعبرها في غمضة عين
حلما بكل بحار الدنيا
يرفرف فوقها، في غمضة.. حب.

2

يرتقي الورد سلاالم الضوء
إليك.

ترتقي كل الموجودات،
والكائنات.

تكتب فصلا جديدا
من مغامرة اللون.

والحدود الفاصلة،

بين دربين يدّعيان وردك
يتخاصمان.. لأجلك

يشدان الضوء سلما

وأنت في سماك..

قمر، من ورد.

في تجلياته، ينسى القمر مفاته
ويهبط،

يوزع لونه الذهبي
على امتدادات من ضوء.

يزرعها على مفاتن النساء
موقن أنها لن تبقى طويلا
وموقن أكثر، أنهم يستعدن حكاياتهن
عن القمر النائم في صدورهن
وعن مباهج لا تحصى
نسيها قمر، وارتقى..

لا تكثرني كثيرا سيدتي
لن ينسأك القمر
سيهبط، لأجلك،
تاركا مفاته.. لتجلياتك.

لا قمر.. إلا بك.

تقبض على سواد الليل
وتكتب به سطورا أخرى.

على ورق مفكرتها الملونة
يتمدد الليل على ورقتها
ويهمس، ويأتيه النعاس
فينام، مستكيناً إلى يدها.
والورقة المفتوحة على أول سطر.

لا تتعب الطفلة من التشاقي
تكتشف أنوثتها على الحد الفاصل
بين الليل، وسطور الكتابة
بين العتمة، وضوء الكلمات.

بيننا، أنا وهي، نكتشف اللعبة من جديد
حبرك الأسود يتدفق بشجنك
وأنا أتوج الحروف معناها.

3

تحت خيمة "الفرقة"
أداري الريح عن حوائطي المنهكة
.. والزمن الهادر بأوجاع "الأمس".

أتخيل الصحراء خارج خيمتي
رملا تكنسه ريح
وزمنا يسند حوائط تبدو كالتلال.

أضع "اليوم" أمام العاصفة
لا ريب.. بعد ساعات، سيكون "أمسا".

”الفرقة“ أتت.. وأنت لا زلت.

تنشد المواجه ذاتها..

وتغني على أوتارك القديمة.

لم ترهقك المسافات، كالتى أرهقتني..

لم ترتبك.. لأن الزمن مر ثقيلًا

يطأ على أكتافنا، ضاغطا بقسوة مؤلمة.

حطّ طائرهما..

خطف عقد السنوات من أعناقنا المنكسرة

وهناك على شجرة بعيدة،

لم نعد نر أثرًا،

سوى المتبقي على أرواحنا

وهي تزحف عاجزة عن التحليق.

من أول خطوة..
للنهايات التي كانت تطل بكثرة
كنّا نعبث بالبدايات.

نقول إن الطريق يحتاج إلى مسير
لنتبين خيط الدمعة الأسود
من لون الصفحة الأبيض.

نجهتد في إقناع القدم لتتحرك
فالمساحات البيضاء هائلة
لكن حسرتنا، على خطوة الدمعة السوداء
تباغتنا، كأننا لا نتوقع خبرها
يرسم خرائط "الفرقة" بمسارين متباعدين.

يأتي نهار.. ليس كسابقه.
يأوي إلى جفني ليل
نسي ضوء قمره ونجومه
تربكني نوارس الحنين، تستيقظ في المسافة الفاصلة..

بين نهار وليل.
لا فاصلة هناك، إلاك..

مبتدأ الليل،
ومنتهاه.

4

كأول الغيث.. جئت
كآخر قطرة مطر،
هبطت إليك، مقبلا ومقبّلا..

ما تركه الشتاء على صفحة وجهك
ما أبقاه الصيف في زيت قناديلك
مفتتح الربيع، سيدتي
وأجمل أوراق الخريف.

كأول الحلم، صعدت..
كآخر اليقظة تمددت في روحي.

وبين جسرين أسير حافيا
حلمك ويقظتك،
انتباهتك الأصفى من يقيني أنك ستعودين
على جسر حروف تكتبك..

كأنك أول حلم،
آخر صحو.

لا ينتبه الخريف، سيدتي
لما يتبقى من ورق في غصن شجرة
آثرت السكينة،
وحيدة، في آخر الغابة
أو في بداية أي شارع.

لا تنتبه كل الفصول،
للأوراق المتبقية في أجندة العمر
القضية هناك،
في آخر بقعة منسية
لا يصل إليها الحب.

الفصول تنسى حسابات الزمن
وتمرّ على هضباتك
خريفاً إثر ربيع
وتغادر، جميعها، تاركة على وجهك
بقايا عبور،
كأنها لا تود الرجوع إليك.

ينفض الخريف أشجارك بصمت مومع
ولا يأتيك الربيع كما يفترض،
لا ياسمينه يكفي لإيقاظ روحك
ولا ورده قادر على التشكل باقة
تحتضننها على صدرك،
كالأيام الخوالي.

يعبرك، حلمي، كأني فصل
يهطل كغيث، يكتب على وجهك
قطرته الأولى
ولا يكف.

5

يقف السؤال على شفاهي
تختصر الإجابة..
عيناك.

وأمضي في الامتحان وحيدا
بلا ورقة،
تمنحني علامة حبك كاملة.

تسأل قطرة الشاي الشفتين
عن سكر اللقاء
وعن آخر أوهام المواعيد.

تجف بقايا القهوة في فنجانها
لا وقت لديها إلا لإجابة
تعرفها قارعة الودع،
وهي تقلب الفئجان ناسية..
ما الذي ينبغي عليها فعله
في قراءة الوداعيات.

يأتي صوت فيروز
ولا تأتين.

كل صباح يتجلى كإشراقة شمس
يعبر المسافة
بين الحنين والحنين.

يصعد القمر كل ليلة
من حواف الجبال الصخرية،
على حواف روحي،
أقف

ويله قلبك،
لا ينبت من رحمه ضوء
وهو المتفجر بالنور.. كان.

في نشوة التلذذ بالفراغ
أضع ورقة الإجابة
وعليها فنجانا شاي وقهوة
وأرسم على الأشياء، وبها:
صوت فيروز،
وشمس تسير حافية
وقمر يختنق وراء الجبال
.. وأنسى، عامدا
رسم قلب، كان متوهجا بالنور
كما كان.

في شهوة الفقد،
أنسى، عامدا
كل شيء.

6

آه.. يا هذا الغياب
أثقلت الروح
تفتت على خرائط رحيلك
كأن المسارات أنا
.. وكأن دروب العودة،
أول الرحيل،

لا نهايات.. ذلك الغياب
المفتت لروحي.

لا حاجة للبوح
على شفاهك كل الكلام..
لا حاجة للصمت
حينما تصبح رفقة الأجنحة
دالة على عودة طائر مهاجر
نحو عشّه الأثير..

لا أحتاج سيدة الغياب
إلا لكلمة واحدة،
تفتت حجر الصمت
تصنع أبجديات اللغة.

كانت النوارس تكتب حينها
تصافح بأجنحتها المحلقة
ورقة الماء الزرقاء

كانت الريح صامته
وخطواتنا تداعب نورساً يتأمل على البعد
عيوناً تلاحقه

يهرب نحو صفحة الماء
يكتب حكايتنا.

ونبقى وحدنا..
صامتين، كالريح

ثمة صوت يأتي من خلال الموج
ثمة أغنية،
لا تدري من نسيها
بين الموجة والأخرى.

تكبر الكلمات، يعبرنا اللحن
وعلى كل خطوة،
يضع شجنه.

كان الساحل وراءنا مبتهجاً
موسيقى تشغل ليل المدينة.

أشرق النهار فجأة،
يحكي لنوارس الماء
حلم عاشقين، استفاقا من عتمة الليل
ولم يجدا حلمهما.

أقاسم النوارس حكايتي
.. وأمضي.

لا البحر يلتفت نحوي
ولا الجبل يحنو علي.

7

يتعبهم الدوار
تتقاذفهم سماوات
.. ويتساقطون
ومع ذلك يعيدون الكرة مرة أخرى
ويخلقون من جديد.

لا تتعبهم الريح..
يفتحون نوافذ صدورهم
يهطل المطر، حانيا.
تهدأ العاصفة
برذاذ روحك
يبتل جسدي
رغم أن الريح لا زالت
تعبث بمغاليق النوافذ.

للأزرق غوايته.
تكتبه السماء،
فينعكس على البحر.
يرسمه البحر،
فتقرأه السماء.

.. أو تلوّن عيناك الحدود الفاصلة
بين زرقتين.

لا تترك فرصة للماء
يبلغ أنفاسك
.. ولا للعطر، أن يغرق روحك
اترك قلبك بين الوردة والماء.

سيتعلم العشاق منك العوم
دون أن يفاجئهم الاختناق،
بالعطر
أو غرقا في ماء الوردة.

أولئك الذين يصابون بدوار البحر
والغارقون حتى قلوبهم
في عناد الوردة
سيتساقطون كمطر.

سيكتبون أسماءهم،
كما سأكتب أسمائي..

وأمضي إلى سمائي
فوقي زرقة، تحتي زرقة
في قلبي..
حقول من الورد.

دع الريح سيدي تعصف
نوافذ الماء حانية
سأتعلم العوم، ولغة العطر
سأخبرك بكل التفاصيل
وحكاية النوافذ،

وسر الزرقة.

8

يحدث، بين الفينة والأخرى
أن لا أتذكرك
وأن أنسى ما وعدتك أنه..
لا ينسى.

يحدث، سيدتي، سيدة الحضور
سيدة الغياب، والمسافات
أن لا تستجيب ذاكرتي
وهي المثقلة بك، الزاهية بتفاصيلك
لما يسمونه بداء العشق والفراق.

تحدث أشياء كثيرة..
أكبر من الرغبة في التذكر
أشد مرارة..
من النسيان.

تفرّ التفاصيل من بين يدي
وتعبر، كالأساطير.

لا ذاكرتي تستوعبها
ولا الكلمات.

أنت.. الأنتى المستحيلة
غيمة مراوغة..
تبلل حواف الحروف.

أصحو من غفوتي..
أتذكر أنني لم أعد أتذكر
وأنني نمت البارحة
متخففا من حضورك..
أخبر الفجر أن الليل لم يأت بأثني
وأن أشعة الفقد
سارت كما تشتهي القصيدة.

يضحك الفجر هازئاً،
كالشمس المتسللة،
والضوء المشتعل من وراء الستائر.

يحدث، أن تصمت الذاكرة،
تفرق في عتمة مخيفة
لا تتبين مرور وردك عليها

أن يستيقظ الحب القديم
أن يتوهج كنجمة،
أن أكتبه بآخر الكلمات المتبقية في أصابعي

آه من قسوة الذاكرة
حين تأبى.. إلا النسيان.

آه.. من قسوتك،
حين لا تريد التذكر.

9

التفاصيل دلّتي عليك..
العينان في لقاءهما الأول

والمقلتان، تضيئان الفسحة بيننا
فتقتسمان ما في الروح..
من كلمات.

يهجع الصخب في القلب
النبضات المتدافعة في الصدر
دلّتي إليك، درب النبض
والعيون المحاصرة..
بحضور مباغت.

لا أسئلة في الروح
ولا إجابة يعرفها الجسد.

حائر في تفاصيلك..
من أيها أبدأ..

إلى أيها أكتب نهايتي؟

من حافة روحي، أقول أحبك
إلى حواف جسدي، أشعر بالضياء
ترتبك الكلمة،
كأنني لم أحبك قبل ارتكاب خطيئة البوح.

وكأنني نسيت حروف الأبجدية
حينما نسيت كتابتك عشقا..

مع أن التفاصيل تكتبك في عمقي..
كل حين.

بين فنجان قهوة، وآخر..
أحاول استعادة الملامح، الكلمات..
الارتعاشة الأولى، لمعة العينين..
الحرف الأول في الحكاية.
بين نبضة قلب، وتالياتها..

أحاول أن أكتبك من جديد،

يا إلهي..

أين هربت الأبجدية مني

وأنت الساكنة هضبات الروح؟!

كيف تجرؤ الكلمات على الانسحاب

وأنت المتشكلة من جميع الحروف؟!

تريثي قليلا ..

حينما ترسمين حروف الوداعيات

على حواف الصفحة عاشق،

على حواف المعاني.. معنى.

وفي عمق الروح تفاصيلك
العصية على الانتزاع.

تفاصيلك، تفاصيلنا معا
حركات أصابعك،
إذ يطيب لها التسلل
تكتب حرفا، وتنبش الذاكرة
بحثا عن حرف تال.

حتى الكلمات الناقصة،
تفاصيل لن تكتمل..
إلا بك.

10

يتخذ القلب شكل وردة
تتخذ الوردة شكل الحب.

تبتل بندى أغنيات كل العشاق
وحين تتجلى تحت القمر الساهر
يتخذ القلب.. شكل الحب.

تشكل الأغنيات طيورا
ترسم الطيور شكل السماء
تكبر السماء، وتتسع أكثر فأكثر
لتستوعب الأغنيات
وقد أصبحت طيورا.

حينها، تتخذ السماء شكل طائر أزرق
تغني لكل عاشق
قصيدته الأثيرة.

في عينيك،
أكثر حيرة من طفل،
يشكل الدنيا كحلم..

كل غيمة تتشكل حرفاً،
السماء، في زرقتها الشفيفة..
تتناثر قصائد..
طيورا..
وردا..
عشاقا يهمسون لحبيباتهم
عن قلوبهم التي غادرت صدورهم
وحلقت في الفضاء..
تختار حريرتها، وعشقها.

من أين يأتي كل هؤلاء العشاق؟!
المدينة صحراء مغلقة
يقتلها الجفاف.

لولا أن السماء باحت ببهجتها
وأمرت، بعضاً من أحرف،
كانت تسقطها طيور،
فتتكشف الصحراء على ورد.

11

تختصرين كل النساء
في أبجديتك
تختزلين القصيدة..

أضعني في قلبك،
لأكون أول الحروف.

أرهقني الترحال.. وجئتك.
أرهقني العمر.. وجئتك.
أرهقني كل ما مر على حياتي..
وجئتك.

لكنني، على أبواب الريح..
وقفت حائراً.
لم أجذك.

تحت خيمة العمر..
أجلس وحيداً،
كبدوي أوشك على الرحيل.
ولا صحراء تتسع له..
ولا نجمة في الأفق،
يأوي إليها مسترشداً دربه.
تساقط العمر كالطر،
تساقط المطر كالعمر.

في المسافة المتبقية أمامي
أجدول عمري..
على دفتر حضورك

لعله غيابي، يشدّك إليّ..
يعيدني كما كنت،
الحرف الأول في قصيدتك.
حرف لم تعرفه الأبجدية بعد.

المسافات صحراء صاهدة بالاحتراق

على خيمة البعد

أحرق الحروف، والقصائد

لعلها تولد من جديد..

الحرف الغائب،

كالحرف الأول.

12

أُعتب على النهر
لم تحمل نسماته
قصائدي إليك.

أُعتب على البحر
نسيت أمواجه
ما تبقى من حروف
أسكنتها عينيك.

أُعتب على السماء
كيف نسيتني
وأنا المسكون، كالحب
بين شفتيك.

أُعتب على روحي
باعتني ضلّالا
واهتدت كالنوارس.. إليك.

لا لون لحرفي،
لا رائحة تدل عليّ.
وحدك مبتغى الورد..
وحدك قمح العشق.

أنا الجائع الأخير
على مائدة عشبك
يبللني،
فأغرق في الخضرة.. أكثر.

أجدني.. على عتبات الماء
أحصد اليباس.

على عتبات الرمل..
أحصد العمر.

على عتباتك..
أحصي أيامي،
سارحا بين مائك ورملك.

في إثر خطوك..
لا أجدني.

تبعثرت بين رمل ورمل..
ذبت، بين ماء وماء.

على خارطة الوجع
أنزف، وحدي

على ما تبقى من حنين،
أبكى، معك.

13

عن أول استفاقات الذاكرة..
سأحدثك.

عن بدايات تعلّمي لأبجدية الحنين
سأخبرك.

عن صرختي الأولى، خروجاً من رحم العشق
.. إلى قلبك.
لن أجد شيئاً من الكلام.

كل المدن غافية..
ومدينتي لا تنام.

شوارعها، أرصفتها..

بحرها، ساحلها..

كل ما فيها، يترقب نجمة

أدمنت الرحيل،

لو تبزغين، من وراء غيبك، وغيابك..

سأخبرك ما لا يحصى،

في صحراء الذاكرة تلال من الحكايات.

رمل تسير به الريح،

تزفه من تل إلى تال يترقب ذراه.

تبني التلال علوّها من بعضها..

الرمل خادع،

والغياب خديعة.

التل ينزف،

دمه رمل،

جسده رمل.

أيتها الصحراء شاركتيني بعض رملك

لأبني تلي..

لأنهض وسط صحرائي

رغم أن رملك.. خادع.

حواف التل، ناعمة وطرية

لكنها هشة،

لا يحميها جمالها من الانجراف،

قدرها مع رمل وريح،

بدونهما لا شيء.

بدونك، لست إلا تل رمل
تزحف به الريح.

وأبدو على البعد،
كمنتظر أبدي،
يهيل الرمل بكف متعبة..
ويتربح بزوغ أمل.

والصحراء أملها سراب..
وسرابها، محض أمل.

14

العاصفة لن تأتي..
المطر، قد يتأخر..
هو.. يشبه العاصفة،
وهي، لا تختلف عن.. المطر.

على حافة ورقته يرسم أرجوحة..
تهزها ريح..
على حافة حياتها،
تسكب ماء الحنين.

وحده.. يكتب البدايات..
وحدها، في أقصى حدود الاحتراق..
تفكر في النهايات.

تأخرت كثيرا
تساقطت عقارب الساعة،
تساقط الزمن من جبهتي
أحرقني الوقت،
منتظرا،
رعشتي تزلزلني
وكفك لا يحلو له سوى..
التلويح من خلف الغيم.

على الدفاتر، تسجد الكلمات.
تصلي ركعتين لأجلك
وعلى جبهتي تستيقظ الحروف
تشعل شمعتين،
يتفرق الليل،
تذوي العتمة في مقلتي..
وأشرق كالشمس،
على خطواتك العابرة.

ليس كالحنين، وجع
ليس كالأنين.. ألم.

حنينك موجع، وأنيني مؤلم.
يلتقيان في الليل
يحكيان قصة من خانه الوقت..

وغادره القطار الأخير،
عن الدمع الذائب في الأحداق..
والمواويل الصاعدة حزنا
في حناجر المترقبين.

لا تعد للوقت..
لا تعد الوقت.
الساعات عاندت عقاربها.

وبقينا غرباء،
سئمت الأيادي التلويح للمغادرين.
غادرتنا، أيضا، كيمامة مرتعشة.
أطلقت أجنحتها للبعيد،
لا شيء.. إلا البعيد.

لا أحد ينتظر
المحطة خاوية.
ثمة قلب، لم يفقد الأمل بعد.
يقف حزينا كل صباح،
يرسم على الجدران من حوله
أجنحة،
حتما، ستأتي بغائب.

15

أول الغيث.. أنت
الخصب يأتي باكرا..
الخصب، يحل متأخرا.
والمواعيد كالمطر،
وأنت كغيمة، تنأى،
لا تلتفت لعطش الأزهار.

تلوحين، كمطر..
يشاغب من البعيد،
فجرا يشرق على عينيك.
على أهدابك تسترخي قطرة
على شفثيك،
تكتب القصيدة أول سطرها.

كرذاذ.. أو أجمل من ذلك..

بداياتك عطر.

رائحتك بعبق الخصوبة،

لا نهايات تكتبينها

لا نهايات تكتبك.

وحدك،

الواقفة على حافة غيمة..

ترتفع قطراتك للأعلى

لعله العاشق يرتقي إليك.. وبك.

واقف بين الماء والماء

على حلقي بدايات حروف..

يجرحها الجفاف.

لا أغنيات الليل تبوح بي
ولا النهار يشفع لي،
حائر بين الماء والماء
على كفي يباس،
قمح أكلته السنون السبع
سنابل أفرغت أحزانها
وعلمتني كيف تبكي الحقول.

يقف المطر أمام بابي
يطرق النافذة،
أسمع أغانيه المخصصة.
فتحت له الباب والنوافذ،
راقبتني قطراته،
وتخيلته يبكي.

كآخر الغرقى
أحلم بيدك،
كأول الحالمين،
أحلم بوردك.

أي عين هذه التي تراك
وتغض الطرف؟!
أي قلب هذا الذي يخفق
ولا ينبض بك؟!

وحدي، والليل
نظل سهارى
نترقب عبورك، كنجمة.
وحدها النجوم، لا تنتظرك
لا ضوء لها، خارج إشراقتك.

على النافذة ثمة طائر
على الباب، بقايا حيرة
وغناء يأتي من البعيد
يطير حائراً،
ريشه نوتات فرح،
وجناحه خفقان حلم.

لا تأمن لنزيف الموج،
وما يسرده من حكايات
يبوح بها للرمل.

لا تأمن البحر،
زرقته شفاقة أكثر مما تشتهي السماء
وما يتمناه حالمان..
يقطعان حواف الماء،
يبحثان عن اللاشيء.
حيث هناك في البعيد: كل شيء.

في صمت البحر، أراك.
في العاصفة، احلم بك.
بعين لا تغض الطرف:
أرسم خارطة أحلامي..
على ضفاف عينيك،
يتسعان أمامي.. كبحر.
وكسماء من العشق.

16

سأشأغب ذاكرتي قليلا
وأدّعي انني ما عدت أعرفك..
لا تفاصيلك تأتي على البال
ولا طيفك يمر عابرا..
كلما أغمضت عيني.

هناك على الشرفة شمس تغرب،
تأخذ بقايا وهجك،
تلقيه خلف الجبال..
أو في قاع بحر.

سأدّعي كذبا:
هذه الحروف لا تخصك
وأني لا أكتب عنك..
وأن القصيدة الأجمل تتنكر لك.

سأقنع هذه الذاكرة المتعبة..
أن تلغي من لوحة المفاتيح حروف اسمك
تحذفه من قواميس الأسماء.

سأزور ذاكرتي،
سأعلمها فعل النسيان
سأكرر عليها أن اللغة ضيقة،
إلا من أفعال الماضي،
وقد ذهب مع الريح.

سألقتها (كان) فقط
لتنسخ حضورك،
حيث هناك، في أبعد فعل
لا اسم لك ولا خبر.
سأنسيها هذه الذاكرة المتمردة،
ما عرفته من نحو وصرف..
لتكتب كل المفردات..
عداك.

انتبهي للوقت جيذا،
لا أجيد تزوير الذاكرة..
الوقت لعبته حرف الأشياء عن اتجاهاتها.
ليست ذاكرتي عصية وحدها،
كلي.. محض ذاكرة.

أيها العصي على النسيان..
السائر على وجعي.

بقي الرحيل
يندس في فراش الوقت
يثقله البرد
والشتاءات المثقلة بالشجن المر

في اصابعي تيسبت الأحرف
لم يبق إلا حرف: الرحيل.

في قسوة الترقب
يغدو الوقت حائراً
يسكب رماد ساعاته
منتظراً سقوط الأيام
من عليائها.

لا تصدق الزمن
لقلبك ساعته الخفية
عقاربها حركة موجعة..
ووجعك أشد.

لا تمض العمر مترصدا،
الزمن لا يتحرك بك
سيعبرك كأني منتظر..
ويمضي إلى البعيد.
البعيد الذي لا تراه
إلا سرايا يعريك في صحرائه
وأنت قطرة ماء كانت
تلقمها قلبك كي لا يجف
لعل الرحيل يستحيل نهرا
لعل الصحراء تنبت مواعيد أخرى.

كن روحا تتبع قافلة العمر
اجمع ما تساقط منها
لا شيء كفقدان الأمل
والوحشة المنهمرة على الروح
كن روحي لأبتل بمائك
كن قدري رغم أنف السراب.

17

لم أعد أخشى شيئاً
بقي الطائر وحيداً
ألقى ما يملكه من أغنيات
واستسلم للقفص
يقبل أسلاكه الضعيفة..

لكنه أضعف منها.

لا ينسى الطير مواعيده الأولى
ولا سجنه الأول.
يغني من أجلها.. جذلاً.

ويبكي.. بالغناء أيضا
كلما استعاد لحظة الإمساك به.

لا تخبر أحدا يا صاحبي
وأنت تصدح بحنجرتك
عن أشياء تخصك،
عن قصائدك التي تكتبها
عبر فجوات قفصك الصغير،
بعض التذكر شفاء
كثيره موجه.

لا تمنح سجانك نقاء دموعك
سيحتفي بها،
ليغلق الأبواب عليك أكثر.
صمتك يتعبه،
يرهق غروره، الجالس يتأملك.
يتمنى بكاءك،
كي تحتفي روحه بالفرح.

لا وقت أمامك.. إلا الفراغ
لا أغنية في حلقك..
سوى شجنك المر.
قاتل سجانك بأغانيك
حطم قفصك،
قبل أن تثقل الأغاني قفصك الصدري.
يتحطم، بكل ما فيه.

يأتيني الصبح بك،
مبهرة كعادتك
وشهية كما تشتهي الروح.

تأتي الشمس معك،
يضج الجسد بالحياة
وتهجع روحي - وأنت روحي - إليك.

تأتين على حواف الضوء
يتفجر الورد بعطره
والسماء ترسم أول خيوط العشق
أُتسلل عبرها إلى ضوئك
ويغمرنني العطر.

أسقيه كل وردة في طريقي
نحو علوّك الباذخ
إذ أسري بك.. إليك.

كيف يأتي كل هذا الضوء
ولا تأتيين؟

كيف يولد كل هذا الضوء
ولم تأتي؟!

يسرج النور أحسنه
ويعبر بي نحو البعيد
وأنا لا حلم لديّ
سوى أن أستبقيك:
مساري ومقصدي.

أخشى سيدتي
أن يأتي كل شيء..
ما أرغب فيه، وما لا أرغب
ويضنّ العمر.. بك.

18

الوردة التي باغتها المطر
لا تنحني.
تبقى شامخة في غصنها،
الشوك في عنفوانه
يود لو يلثم الوردة،
لكنها.. لا تنحني.

المطر الذي يقبل الخد المتورّد
يأخذه الحنين.

على حواف الوردة ثمة حلم..
يتذكره العاشق..
إذ يبلى المطر.

على الغصن بقايا جرح
نسيه حينما رأى السماء
ترسل قبلا من ماء.

لا يكفّ عن فتح كفيه للماء
لعلها تساقط عطرا..
يرتق المسافة بين عاشقين،
بللهما الوجد،
وأن للمطر ان يهجع قليلا
على الكف الحاملة.

حتما سينبت الورد..
بدون أغصان من شوك،
سيتخلى عن كل عشاقه
ليبقى.. أنت.

ترمقني الوردة بحزن
وعلى ضوء موسيقاها..
يرقبني المطر.

والعينان على قوائم الانتظار
وثقوب الكون المتسعة على أمنيات شتى.

19

ليس بين حبة الحنطة
والعصافير الجائعة..
إلا الرغبة المتبادلة.
لا قيمة لها خارج المعدة الصغيرة
ولا حياة له بدونها.
سأقف على ساق الوقت
لعل حنطتي تتساقط من تلقاء نفسها
وأطير، بك،
لا جوع يخذلني
لأطير.. وأطير.

في الساعة الخامسة والعشرين
في الوقت المستحيل
في الوقت القاتل جدا..
في الزمن الضائع.. دون هوادة:

أستعيد جراحي،
واحدا واحدا..
وأحسب كم ساعة على غيابك.

تعبرين الوقت المستحيل / القاتل
وأعبر زمني الضائع،
الفواصل محض وهم
والأزمنة حدود مواجه.

أعبر إلى زمني ليهدي بك
زورقي إلى وقتك،

لم أجد في مساحاتك:
إلا المستحيل يقتلني.

لا فجر..

إن لم تستيقظ الشمس.

لا قمر..

إن أصرت السحابة العابرة

على مشاغبة الضوء.

من نوافذ جنوني
أرصد باب عقلك..
أخشابه العتيقة،
قدرته في وجه الريح..

حتما ستهب العاصفة،
لن أبقى وراء نوافذي
ولن تكون هناك..
خلف بابك.

20

عبثاً أكتبك
لا الكلمات وجدتك
ولا القصيدة باحت باسمك.

وأنا في حيرتي:
بين فاصلة وسطر.. فارغ.

عبثاً أرسمك..
بينك واللوحة مسافة،
لا تبلغها الريشة..
ولا اللون، إذ يفقد عذريته.

المربعات تحيط بفراغاتها
والروح تشبهها،

لا امتلاء إلا.. بك.

ضائع كالهجير
كسراب يركض وراء مائه
أو كماء يدسه آخر سراب.

لا أحد يصل إلى الحافة..
حافة العطش..
حافة جنوني.. إليك.

بين الوعد والموعده:
ميم ضائعة..
كضياعي أمام جرس الوقت.

صوته.. صوتي،
صوتك.. صدى ارتعاش روحي
تعلق مواعيدها..
دون.. أمل.

لا تنتظري..
ضاعت خرائط الزمن..
منّي، كعادتي مع أشياءي
مع أشياءك..

كفي خاوية،
إلا من رمل
عاجز أن ينثال من عيني ساعة
فقدت عقاربها.

خطوتي فراغ يقتفي أثر فراغ
وأنا إثرك..
ألقم الخطوات رملها،
وتتسع.. المتاهة.

21

وجهك.. والمطر

لا يفترقان.

كلما تنثر فرح سحابة

جئت إليّ،

عينك الباكيتان، والخائفتان..

دمعهما مطر.

بعمق الحنين إلى الأمس
والركض حفاة تحت وابل الماء..
أقف مرتبكاً،
يأتي المطر هادئاً
ويطل الفقد بصخبه،
على روعي
تبتّل بمطرك، تستظل بسحابتك.

تغريني بأول ابتسامة منك
حملها الأمس،
الأمس البعيد..

ولم تغادرني.. أبداً.

بعمق التذكر، لكل ما فات..
والحنين الجارف،
تهبط قطرة على الهدب،
أخرى على العين.
تجرفني سيولك بشغف..
نحو أوديتك السحيقة

لا أجدني إلا غارقاً فيك
لا أتوسل النجاة..

رائع الموت بين مياهاك.

في كل مرة:
لا يدرك المطر قطرته الأخيرة

في كل موعد:
لا يدرك العاشق لحظته
حين يضع قبلته الأخيرة،
ويمضي.

لا الزمن يستدير للوراء،
ولا المواعيد تبوح بسرّها.

وحده المطر، يعود..
ويكتب على القلب ما تيسر من فقد.

لا تحسب القطرات،
جميعها من وجه واحد.

22

ينتظرون:
أياديهم فارغة
يضعونها على قلوب ملآى.

والسلال خاوية
إلا من يباس ورد.

تحت خيمة الوقت..
عرايا.
لا تستر سوءاتهم حروف..
ولا كلمات.

أعينهم نحو البعيد،
لعله يأتي،
يستر انكشاف قلوبهم.

يمدون أيديهم إلى الفراغ..
كسنا بل قمح يابسة
تترقب المطر..
أو منجل الحصاد.

الحياة هي الموت،
الموت.. انبعاث حياة.

يلوّح الغرباء بابتساماتهم
حائرة ومتعبة.

على وجوههم بقايا أمل
الفجر سيأتي
أو قمر وراء التل يظهر
الدروب تحت أقدامهم أكثر حيرة..
والأقدام أشد تعباً.

ولا شمعة تفكك قيود الليل
في يد غريب،
ولا يد غريبة تأتي.

من هناك.. من بين أصابع الليل
تحتفي بابتسامات..
تكاد تسقط من أفواه أصحابها.

في انتظاراتهم:
يحلمون، متمسكين ومتماسكين.
يشيعون الحلم قدر مستطاعهم.
ستأتي نجمة من البعيد، لا محالة
يضعون عليها ما تبقى من آمنيات
.. قد يدوي الانتظار.

23

سأكتبك بما تيسر بين أصابعي..
من حروف،
ومن مفردات لا تتسع لك.
ولا تتسع أمامي،

أتضيق القصيدة؟
أمام اتساع حدائقك،
الطرية كربيع يزهر
الجارية كأنهار من خمر!

قاربي بين الكلمات
ستنبت في حدائق أصابعي
أكثر من قصيدة.

قاربي بيننا،
ليزهر على كفي:
ديوان عشق.

المسافة فراغ..
والفراغ أوسع من صحراء.

ضميني إليك،
كي يبقى سرايا،
لا يعترف به امتداد الرمل.

.. ونخدع البعد.

الفراغات محض وهم
ياسمينك أقوى
نرجسك، ضحكتك.
وأنت.

.. وأنت الأقرب من أنفاسي
أحتاج إلى قربك أكثر.
.. وأنت الوحيدة بين الضلوع:
كوني القلب كله.

24

حان الربيع صغيرتي
العين الحزينة نسيت المواسم
جردها الخريف من أهداب حلمها

ولا عين لي.. سوى عينك.
لا قلب لي.. إلا قلبك.

صغيرة أمام الحزن،
كبيرة على أوراق،
عاشقة على الورق الحزين
مثيرة،
اذ تستلقين على حزن الأوراق.

أمام النسومات المنكسرة
على هضاب وجهك
يزهر اللون،
ويكتب قصيدته:
ربيعا يخضّر بدمعك.

يلونون أحزانهم..
بما تبقى من مدادهم
وينامون،
على أمل أن يرونها في أحلامهم
لوحة جميلة،
لا يسيل الدمع من حبرها.

قالت: تعال أعلمك الحزن
على أرضي يخصب أجمل.
ستحبه من الدمعة الأولى،

ستقول له: لا ترحل.
وتلقيه إليك،
رغما عن قلبك.

قالت:

سيأتي الربيع مع دمعك،
أكثر اخضرارا..
وقلبك المغسول بماء العين..
أنقى.

قالت:

لا ترحل.

..وبكت.

25

أسائل نفسي
والمرأة، شاهد حوار:
هل أنا أنا؟
ذلك الذي غفا إلى الليل
وصحا به الفجر؟

أتخيلني:
سرابا ينغلق عليه لوح زجاج
والرائي لا ماء في صحرائه
لا تنبت الصحاري وردا..
على واجهات المرايا.

أراني:
في المرأة.. أنت
أراك: في الظل
جسدي المنهك خلف سرابات،
تتراقص على حواف المعنى

من يكذب أمامي:
وجهي، أو المرأة؟!
من يخدعني إذا التصقا:
زجاج الوجه،
ووجه الزجاج؟

كانت امرأة خلفي..
تحرك ظلي خلف الشمس
وتنثر قبلاتي على عنقي
يستيقظ حلم
يزدوي حلم

كل هذا الهجير
ولا ظل لي..

كن ظلي..
أحتاجك.. لأحتمي بك.

الشمس صاعدة،
وقلبي أيضا.

للاطلاع على قائمة إصداراتنا :

 بيت الغشام للنشر والترجمة

طبع بمطابع مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان